المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والخمسين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢١ — الموافق ٢٤ رمضان سنة ١٣٣٩

الآثار المصرية البيتية

تمتاز الآثار المصرية القديمة على غيرها من آثار الامم في انها تكاد تكون تاريخاً مفصلاً لملوك مصر وخاصة شعبها وعامتهم في حروبهم وعباداتهم وزراعاتهم وصناعاتهم وافراحهم واتراحهم وسائر مرافقهم فانك تجد ذلك كلهُ منقوشاً في هياكلهم ومدافنهم ومخطوطاً في دروجهم وعلى اكفانهم . ومما هو من الغرابة بالمكان الاغرب انهم لم يكتفوا بالخط والنقش بل مثلوا احوال معيشتهم بصور مجسمة من قبيل التماثيل فنرى فيها جنودهم من البيض والسود خارجين الى القتال بالحراب والتروس . ونساءهم يعجنَ ويخبزن . وكتابهم يكتبون ويقرأون . واحدث ما اكتشفهُ اهل البحث من هذا القبيل مدفن رجل من اعيان المصريين الاقدمين اسمهُ م ـكوتر كان منذ اربعة آلاف سنة . وقد اشرنا الى هذا الاكتشاف في مقتطف يوليو الماضي وشرحناهُ معتمدين على الصور الفوتوغرافية التي اوانا اياها المستر لنسنغ ورأينا الآن ان نفصلهُ وننشر صور بعض ما وجد في ذلك المدفن من آثار صاحبهِ نقلاً عن مكتشفيهِ

قال المستر لنسنغ وهو احد اعضاء الرسالة الاميركية التي اكتشفت ما في هذا المدفن ما خلاصتهُ

« حينما كنا نبحث على حدطيبة الغربي في المكان الذي اجازت لنا الحكومة المصرية البحث فيهِ علمنا ان البعض جعلوا يبحثون في الاماكن المصرّح لنا بالبحث فيها لينهبوا ما يجدونهُ متذرعين الى ذلك بالاضطرابات التي وقعت في مصر

في العام الماضي. فسبقتهم اليها وعثرت على مدفن امير من امراء الدولة الثامنة عشرة كان طلاب الذهب قد فتحوهُ ونهبوا ما فيهِ ثم رممهُ الكهنة في عهد الدولة الحادية والعشرين . وكان باب هذا المدفن في شق صخر شاهق يكاد الوصول اليهِ يكون متعذراً وكان في وجه ذلك الصخر شقوق اخرى فخيل اليَّ انها ابواب قبور مثلهُ فجعلنا نبحث هنا وهناك حتى وجدنا قبراً كبيراً من عهد الدولة الحادية عشرة وكان المسيو درامي قد عثر عليهِ سنة ١٨٩٥ ودخل بهوهُ المقدم ولكنهُ لم يتم البحث فيهِ . ورأينا ان موقع هذا القبر واتساع بهوهِ وما فيهِ من الزخارف كل ذلك يدل على انهُ من القبور الكبيرة التي قد تجد فيها ما يفي بالتعب. فاخرجنا كل ما في البهو من الانقاض ولم نجد شيئاً كبير القيمة فاكتفينا برسمهِ . وكان لابد لنا من ان ننظف السرداب الذي بعد البهو مما فيهِ من الانقاض. وكذا البئرين اللتين بعد السرداب. ولم نكن ننتظر ان نجد هناك شيئاً ذا قيمة لأن الذين فتحوا هذا القبر قبلنا لابدَّ من ان يكونوا قد نهبوا كل ما فيهِ . اما نحن فقلنا ان رسم المكان لا يخلو من فائدة في علم الآثار ولذلك عزمنا ان ننظفهُ مما فيهِ لنرسمهُ

« وبينما كان العمال يرفعون الحجارة الواقعة من سقف السرداب نزع واحد منهم حجراً كبيراً من جانبهِ فسقطت شظية منهُ في هوة تحتهُ وكان لسقوطها صوت ودويٌّ وكان ذلك في السابع عشر من شهر مارس (١٩٢٠) وقت المساء . والثقب الذي وقعت فيهِ كان صغيراً والهوة تحتهُ مظلمة فاتينا بمصباح كهربائي يلقي نوراً ساطعاً وجعلنا نتطلع على ما في تلك الهوة الواحد بعد الآخر . ولن ننسى ما رأيناهُ حينئذٍ من المدهشات ولا ننتظر ان نرى ما يماثلهُ في مستقبل ايامنا . فقد رأينا بذلك النور عالماً صغيراً كان منذ اربعة آلاف سنة رجالاً صغار القامة اجسامهم مزوقة ذاهبين واتين وفتاة واقفة بقد اهيف تنظر اليَّ ورجالاً بأياديهم عصي يسوقون ثيراناً مرقطة وكتاباً يعدون المواشي ويكتبون وبحارة يجدفون في قواربهم . وقد خيم الصمت على كل ما هنالك لا صوت ولا حس

« وكان الظلام قد حلك فسددنا الثقب ووضعنا عليهِ الحراس وذهبنا الى مضاجعنا ونحن نفكر فيما خبأ لنا الدهر

« قضينا ثلاثة ايام في تفحص ما في ذلك المخزن ورفعهِ وتصويره . وكل ما هناك امثلة لمقتنيات صاحب المدفن تمثل جسمهُ وخدمهُ ومقتنياتهِ وهذه

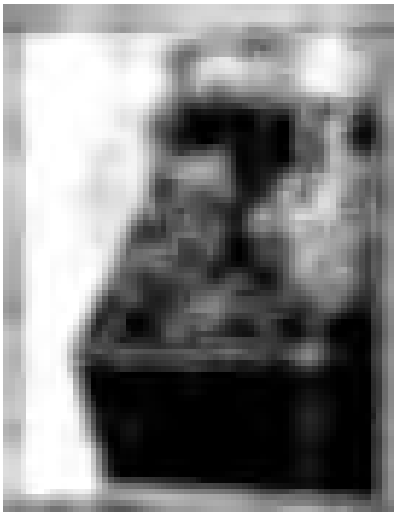

مثال حديقة فيها اشجار الجبز حول فسقية

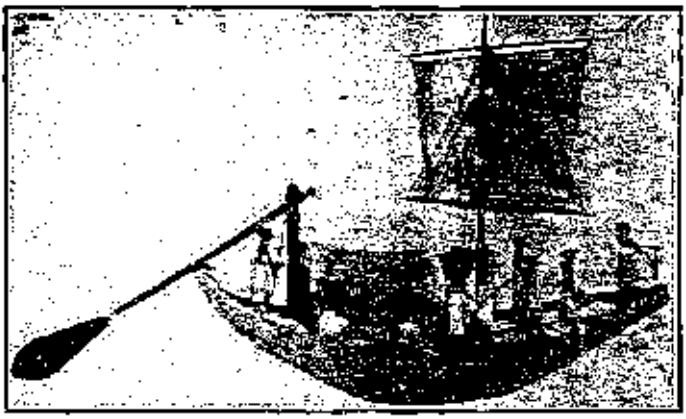

مثال قارب شراعي

مثال قاربين ينهم شبكة صيد

متتطف يونيو ١٩٢١
امام الصفحة ٥٢٣

الامثلة من الخشب وهي في صنعها وحفظها ادق كل ما وجد في القطر المصري حتى الآن ولا يماثلها الا تماثيل الجنود التي كشفت قبلاً (وهي الآن في دار التحف المصرية) . فهناك تمثال هذا الرجل جالساً في رواق ومعهُ الكتبة يعدون مواشيهُ ويكتبونها والكلافون يسوقونها امامهم. وامثلة بعض الثيران قائمة في زريبة بعضها يأكل من معلف وبعضها يتناول غلفهُ من كومة خضراء والظاهر انها تعلف لتسمن. وقد بالغ صانعها في تسمين ابدانها حتى لا تستطيع الخروج من باب المذود. وهناك مسلخ وفيهِ امثلة ثيران اخرى واثنان منها ربطا والجزار آخذ في ذبحها. وفي جهة أخرى ثلاثة امثلة تمثل كيفية التصرف بمحاصيل الاطيان فترى في احدها اكياس الحبوب جلبت الى الاهراء والى جانبها غرفة فيها الكتبة يكتبون ما يأتي من كل غيط ويعطون وصلاً به لجانبيهِ ثم يكال ويصعد بهِ الحمالون الى مكان مرتفع ويفرغونهُ في الاهراء. وفي الثاني امثلة عجن الخبز وخبزهِ وعمل الجعة وفي الثالث معمل للحياكة والنساء يحكن فيهِ

«ومن ابدع الامثلة حديقتان متماثلتان وايوان قائم على ثمانية اعمدة ملونة بالوان زاهية امامهُ فسقية يحيط بها سبع اشجار من الجميز وارض الفسقية حوض من النحاس والمرجح انهُ وضع فيهِ ماء حين وضع هناك. ولهذا الاثر شأن كبير عند علماء الآثار لانهم قلما رأوا آثار بيت معمد

«وكان صاحب هذا المدفن اميراً ووزيراً واسمهُ مهنكوتر (ومعناهُ عطاء الله) والظاهر انهُ كان مغرماً بالملاحة لاننا وجدنا في مدفنهِ امثلة اثني عشر مركباً بعضها يسير بالشراع وهي صاعدة في النيل وبعضها بالمجاذيف وهي نازلة فيهِ وفي بعضها قرات كبيرة ومطابخ لطبخ الطعام وبعضها زوارق صغيرة للنزهة» انتهى ملخصاً

ومكتشفو هذه الآثار اقتسموها مع المتحف المصري فاخذوا ما لهُ مثيل منها وتركوا باقيها للمتحف فوُضع في غرفة من غرفهِ مع ما يقاربهُ مما كشف قبلهُ. وقد شاهدناهُ قُبيل كتابة هذه السطور فاذا بعضهُ فرد لا مثيل لهُ في المتحف كالابقار التي تساق وتعرض امام صاحبها وهي عشرون واكثرها ابلق وبعضها مرقط او اغش وكلها قرونها طويلة مستقيمة كقرون بقر البلغار يصدق عليها قول الشاعر العربي

لنا بقر نسوّقها عشارٌ كأنّ قرون جلتها العصي

وكالسقية التي حوضها نحاس وأشجار الجميز حولها . وجذوع هذه الاشجار غليظة في جنب اغصانها كما تكون جذوع الجميز عادةً واوراقها مدهونة بلون اخضر لكنّ أثمارها حمراء واكثرها في رؤوس الاغصان . وشراع السفينة الباقية من السفينتين الشراعيتين طولهُ نحو ٦٠ سنتمتراً وعرضهُ نحو اربعين ودقتها مثل مجذاف كبير. والفتاة الباقية من الفتاتين حاملتي السفطين طولها اكثر من متر وهي رشيقة القوام حسنة الهندام . وفي مخزن الحبوب قمح بعصافتهِ لكن حبوبهُ صغيرة . وابدع ما هناك في رأينا وادلّ على تاريخ الصناعة المصرية مثال معمل الغزل والنسج ومثال معمل النجارة فانهما فذان لا مثيل لهما ولا اوضح منهما في الدلالة على عمران مصر منذ اربعة آلاف عام

وكتب المستر وتلك رئيس البعثة الاميركية معللاً وجود هذه المثُل في مدفن هذا الامير بقولهِ « ان الامير نفسهُ دُفن في تابوت مُذهب وتاووس من الحجر في غرفة أخرى تحت السرداب لكن اللصوص وصلوا اليها منذ عهد بعيد جدًّا ونهبوا كل شيء ولم ينجُ منهم الاّ هذه الغرفة التي وجدنا فيها ما وجدنا كأنها خزانة خزنت هذه التماثيل فيها ليطلع عليها اهل هذا العصر . والظاهر ان صاحبها يعتقد انهُ لا يمكن ان يوجد في الحياة الاخرى الاّ وتكون لهُ مقتنيات مثل المقتنيات التي كانت لهُ في حياتهِ الدنيا فوضع في مدفنهِ امثلة خدمهِ وحشمهِ مصنوعة من الخشب ومزوقة حسب الوان الثياب التي كانوا يلبسونها وهم يقومون باعمالهم المختلفة حتى تعمل ارواحهم امام روحهِ في الحياة الاخرى فتهيء لهُ الطعام الروحي وتسير بروحهِ في مراكب روحية للنزهة . فكأنهُ ابقى لنا صورة الحياة التي كان يرجو ان يحياها في عالم الارواح »

قد يكون الامر كما قال المستر وتلك . وقد تكون هذه الامثلة صورةً تاريخية لحياة هذا الامير كسير العظماء التي يودون تخليدها في بطون الاوراق . ولكن اخفاءها في غرفة جانبية لكي لا يعثر عليها احد يعزز القول بأن الغرض منها ديني لا دنيوي قصد فائدة النفس بعد الموت لا اطلاع الاحياء على سيرة ميت

ومهما يكن من ذلك فهذه الامثلة من ابدع ما تركهُ لنا المصريون الاقدمون دليلاً على كيفية معيشتهم واعتقادهم بالخلود